

الإثنين 21-07-2010

1055- لعبة الحياة (6)



دراسة في علم السيكوباتولوجي
في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحلقة : (75)

لعبة الحياة (6)

مقدمة :

هذه هي آخر فقرة في القصيدة: مقدمة الفصل الثالث، من هذا العمل.

-5-

الحياة هيّا الحياة

الحياة مش حلم ليلة صيف، ولا إحساس يكرّكع

مثل قلبه مايله تدلق مية المخياة في صحرا مولعة ..

لا الزرع يطلع فيها ولانارها في يوم راح تنطفي.

كما أن الحياة "حركة جميلة مدهشة" (لعبة الحياة 5) مهما بدا ظاهرها مجرى كيفما اتفق، فإنها أيضا حركة هادفة مستمرة مهما التوى طريقها أو بدا متراجعا بعض الوقت. الصفة هي من قوانين الحياة أيضا، لكنها حين تضم إلى مجمل المسيرة لا تعود صدفه، وحين تصبح الحياة مجموعة من التشنجات غير المترابطة، والتسكينات المؤقتة، يتقطع خيطها، وينفرط عقدها ويتخثر قوامها ولا تعود "حياة".

المرض النفسي، هو وقفة مزعجة على هذا الطريق الهادف في مجمله، لكنه من حيث المبدأ وقفة منذرة وهو ليس بالضرورة بديلا تدهوريا متماديا، وبالتالي فالتعامل معه ينبغي أن يكون في حدود الاستماع إلى النذير لمعاودة المسير مع تصحيح الاتجاه.

العلاج النفسي ينشط حين يواجه هذا الموقف المنذر المهْدَد من أشكال المرض، حيث يكون المرض أكثر حركية - أيا كان اسم التشخيص- ذلك أن هذا النوع يقع على الطرف النشط من بعد "النشاط والاستتباب" Active- Established Dimension.

النظر إلى الحياة على أنها مجموعة سلوكيات متقطعة ، والتعامل مع المرض فالعلاج على أنه مجموعة عثرات فتسكينات مؤقتة، يجعل الممارسة الطبية العلاجية ممارسة إسعافية محدودة، وهذا النوع من الممارسة قد يحتاجه في بعض الأحيان، لكن على ألا يكون هو القاعدة ما أمكن ذلك،

الإسعاف والتسكين شيء، والعلاج لإعادة التشكيل شيء آخر، التسكين قد يهدئ السطح الملق بسحابة دخان بشعة مزعجة عامية، لكنه لا يطفى النار وراء هذا الدخان، وإذا لم نتذكر هذه الحقائق فإن النار مع مرور الزمن تتحول إلى رماد لا إلى طاقة.

العلاج النفسي ينتقل بطبيعته :

من مرحلة التسكين المحدود، إلى التغيير الممكن،

من مرحلة اختراق الدخان وإزاحته، إلى مرحلة احتواء النار لتتقلب طاقة مغيرة،

وإلا يصبح العلاج أقرب إلى تبرير الوقفة، منه إلى تحريك المسيرة.

-6-

الحياة هيأ الحياة

كل ما بالقباني ماشى: ما بِنَاتَكُم، أنبسط.

إيدى ماسكه فى إيدِكُم،

بابقى خايف إن واحد ينفرط

يا حلاوه لو تكون الدنيا ديّه

زى ما ربى خَلَقَهَا: هيأ هيّه

تبقى رايج نحوها، تلقاها جايه

مرة أخرى يرجع المتن إلى التأكيد على أن الحياة أساسا هي الحركة، لكن الإضافة في أول هذه الفقرة تعنى بالتنبيه على أن الحركة في ذاتها مهما صلح مسارها، وتحدت إيجابية الهدف منها، لا تكون إنسانية تليق بما وصل إليه الإنسان من كونه كائن اجتماعي متحضر مبدع، إلا إن كانت "حركة معا"، البشر مع بعضهم البعض!

كل ما بالقباني ماشى: ما بِنَاتَكُم، أنبسط..

إيدى ماسكه فى إيدِكُم، بابقى خايف إن واحد ينفرط

في العلاج الجمعي يتم تنشيط هذا البعد بشكل منظم مضطرد، هذا ما أسميناه "تشكيل وعى الجماعة، الوعى الجمعى Collective Consciousness" (وهو ما أشرنا إليه ونحن نتناول فكرة **"التناس" البشرى، أمس وقيل أسبوع**) ،

الخطورة في هذا التنشيط هو أن ينتهى هذا الوعى الجمعى المحدود (وعى المجموعة العلاجية)، إلى وعى "خاص" بها، من حيث أنه يختلف نوعيا عادة عن الوعى الجماعى السائد فى المجتمع، لكن حتى لو زعمنا أنه أرقى، وأنشط، وأكثر إبداعا، وأنه قصيدة بشرية تؤكد حيوية "التناس" الإنسانى، إلى أنه إذا انفصل عن الوعى العام، يصبح نقيصة أكثر منه تميزا .

ينجح العلاج الجمعى حين تصبح هذه **"القصيدة" البشرية** التى أبدعتها جماعة محدودة، جزءا من **"ديوان الشعر"** الحياتى الممتد، وهذا أمر لا يتم بقصد فردى أو حتى بتخطيط علاجى من أفراد المجموعة، وإلا انقلبت المسألة إلى فعل سياسى بشكل أو بآخر، لكنه يشير إلى أمل فى أن ثمة مجموعات فى الحياة العامة تنتظم بشكل تلقائى، وبدوافع بقائية، يمكن أن تحقق ما يحققه العلاج الجمعى، دون أن يكون الدافع مريضاً، ولا الإبداع علاجياً، وفى تصورى (أو حلمي) أن تكون هذه الوحدات قادرة على التواصل، ليس فقط عبر تسهيلات التواصل التقنية الأحدث، ولكن عبر الوعى البشرى الممتد، فتحافظ على بقاء هذا النوع ضد كل ما يتورط فيه من ممارسات الانقراض والتدهور (ولهذا حديث لا ينقطع أو اصله طول الوقت، ما أتاحت الفرصة) .

الخوف من أن ينفصل عن الجماعة أحد أفرادها، سواء جماعة العلاج أم جماعات التطور التلقائية، هو أمر طبيعى، لكن لا ينبغى أن يكون مزعجا أو معيقا للمسيرة الجماعية .

وصلتني ذات يوم على بريدى الإلكتروني صورة لسرب من الطيور، لا أذكر نوعها، ربما تكون أقرب إلى النورس، إذا أصيب أحد افراد السرب إصابة أعاققت انتظامه حتى كاد يتخلف وينفصل عن المجموع وإذا بعدد من أفراد السرب ينتبه إلى ذلك، (بابقى خايف إن واحد ينفرط)، ومن خلال برامج بقاء النوع غالبا، يتوجه واحد أو أكثر من سرب الطيور لمعاونة هذا الطائر الذى أعيق وكاد ينفرط من السرب، ويظل تناوب معاونته مستمرا، حتى يسترد هذا الفرد عافيته، ويواصل مسيرة رحلة السرب فى هجرته، أو إلى غايته والسلام. هذا الشعور الطبيعى عند الأحياء، لا بد أنه موجود أيضا عند البشر، وحين يختلف نظيره عند الإنسان لا بد أن نفهم أن ذلك نذير بوجود خلل فى برامج البقاء لدى نوعنا البشرى، خاصة إذا تمادى هذا الاختفاء أو أصبح هو القاعدة .

برغم كل ذلك، فإن التعامل مع انقطاع فرد من المجموعة العلاجية أثناء مسيرة العلاج له قواعده التى نتعامل بها مع هذا الحدث، فمن ناحية هو حق المنقطع أن يفسخ عقد الاتفاق العلاجى - بانقطاعه - حين يصله ما يبرر ذلك، حتى لو كان انقطاعه يعنى ترجيح كفة أن يظل مريضاً، ومن ناحية أخرى هو

يعطى فرصة للمجموعة العلاجية أن تعيش خبرة الانفصال أو الفقد، وأن تقيم مسيرتها نحو من خرج منها أو خرج عنها، فهي مجموعة صحية بقدر ما تستطيع أن تحافظ على التواصل مع الحاضر والغائب معاً، من حيث المبدأ على الأقل.

كثيراً ما نستحضر "من غاب" عن المجموعة تخيلاً واقعيًا، وجلسه على كرسي خال بشكل رمزي مائل، وتحاوره أحياناً، ونتحاور بلسانه دراما صغيرة أحياناً أخرى، أو غير ذلك، وهكذا (مما قد أكون قد أشرت إليه في موقع آخر)،

لدى فكرة لا أظن أنني نجحت في شرحها أو عرضها بالقدر الكافي وهي أن الشخص الغائب لا يغيب إلا في العالم الخارجي، وأنه يظل جزءاً من وعينا بشكل أو بآخر مهما طال الزمن، فإخوف من "إن واحد ينفرد" ينبغي أن يكون خوفاً مشروعاً، لكنه خوف لا يمثل خطراً حقيقياً على تماسك المجموعة (العلاجية أو الحياتية الصحيحة).

نكرر في العلاج الجمعي، وأحياناً الفردي تعبير "خلقة ربنا" وهو تعبير مصري عامي تلقائي أهم وأدق من استعمال كلمة **الفطرة**، وهو ليس تعبيراً دينياً بقدر ما يمكن استعماله بلغة التطور أيضاً، وهو أقرب إلى ترديد الصوفي ذكر الله بقوله **"ربي كما خلقتني"**، **"ربي كما خلقتني"**.

وهنا يقول المتن

"زى ما ربي خلقها هيا هيا"

وهو ما يؤكد أن هذه الطبيعة التي خلقنا بها هي حركية متبادلة بيننا وبين الحياة، تقدم عليك بقدر ما تذهب أنت إليها **"تبقى رايح نحوها تلقاها جيه"**، وبالعكس.

-7-

الحياة هيا الحياة

الحياة الحلوة تحلى بـكُلنا، إنت وانا،

كل واحد فينا هوّا بعضنا،

بس مش داخلين في بعض وهربانين،

زى كتلة قش ضايعة فـ جـر طين.

ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسه،

بس نفسه هيا برضه كلنا،

مالي وعيه بربنا

أشعر أن هذه الفقرة هي من أصعب الفقرات من حيث تحديدها للشرح، ذلك أنها تكاد ترفض أن يمسه أحد بالتوضيح،

توضيح ماذا بالله عليكم؟؟!!

يحضرنى شعور متجدد أن شرحها سوف يفسدها ويقلل من تأثير الرسالة التي يمكن أن تحملها، (مثل معظم ورطة هذا العمل)،

"كل واحد فينا هو بعضنا"

هل هذا هو الكل في واحد؟

وما حكاية "بعضنا"، وفي نفس الوقت "مش داخلين في بعض وهربانين"

يأتى بيان ذلك فيما يلحق به مباشرة .

كل واحد هو نفسه

بس نفسه هـ برضه كلنا

يا ترى كيف ذلك؟

هل هذا هو ما أشرنا إليه في نشرات الإثنين هذه الأيام (نشرات: 2010-7-19، 2010-7-12) ونحن نشرح العلاقة الثنائية الممثلة لكل العلاقات ونحن نشير أن أية علاقة تستحق أن توصف بأنها بشرية تتم مع إنسان فرد آخر "بالأمالة عن نفسه، والنيابة عن سائر البشر"؟

ربما نعم

طيب، فما هي حكاية "كل واحد هو نفسه"، مع أننا أكدنا طول هذا العمل أنه لا أحد هو نفسه، لأن "نفسه" هي مجرد مشروع في "تشكل مستمر"؟

لا، عندك، بالرغم من أنها في تشكل مستمر إلا أنها هي ذات متفردة فاعلة قادرة في حدس لحظة بذاتها، التي هي وجود بين عدمين (كما يقول روبنال أو باشلار).

.....

أما نهاية الفقرة فسوف أقسم بالله العلى العظيم أننى لن اقترب منها

بل لن أعيد كتابتها الآن منفصلة كما أفعل في بقية المتن

وعليك أن ترجع إليها بنفسك "فهو أقرب من حبل الوريد"

فحين يكون "كل واحد هو برضه كلنا"

تتضح الفقرة دون شرح، يا أخی

الله !!!!!!!

انت مالك انت ؟

الله !!

-8-

الحياة هيّا الحياة

الحياة الحلوة حلوه
والحياة المرّه برضه، لو تاخذ بالك شوية
راح تشوف مرارتها حلوة
هيه صعبة لو لوحداك
بس تسهل لو معانا الناس يا ناس
.....

مش مصدق؟!!

طب حاخسر إيه لو انت سمعتنا؟!

مش يجوز نلثاك معانا كلنا

نبقى أكثر مننا!!

يبدو أن هذه الفقرة العادية، قد جاءت في الختام لتخفف مما قبلها، قرأتها الآن، فوصلتني بشكل عادى أكثر مما توقعت، بل إننى كدت أرفضها شعرا لما قرأت فيها من جرعات التسوية (الخل الوسط) التى أكرهها (راح تشوف مرارتها حلوة)، ربما هى ليست كذلك، لكن هذا ما وصلنى الآن، وأيضاً رفضت تلك المباشرة المسطحة في تعبير: "هى صعبة لو لوحداك، بس تسهل لو معانا الناس يا ناس"، أين الشعر في هذا بالله عليكم

السطر الأخير كاد ينقذ هذا الجزء من فقدانه شاعريته

"نبقى أكثر مننا "

رجع بنا هذا السطر إلى فكرة تشكيل الوعى البشرى الجمعى في أية جماعة، ثم في البشر كافة، أو ربما في أى نوع، ليكون الكل هو أكبر من مجموع الأفراد، ويكون الوعى الجماعى له كيان مستقل فاعل (معالج أحياناً) أكبر من مجموع كل فرد على حدة

الأرجح أن هذا هو ما يحدث في العلاج الجمعى حين يكتشف من ينضم إلى المجموعة أنه لم يعد فردا في مجموعة، بل أصبح وحدة في كيان أكبر من مجرد عدد أفراد المجموع، هذه المسألة لا تطرح أبدا باعتبارها يقين وارد، وإنما باعتبارها احتمال واعد "مش يجوز".

هذا هو ما يعطى المجموعة العلاجية حركية حيويتها، من خلال السماح بالدخول والخروج منها، لتتم كل رحلة بمزيد من الانتماء إلى هذا الوعى الجماعى/الجمعى.

يجوز!

وبعد

وبرغم ما في ذلك من إلاح سخي،
وبعد ست نشرات متتالية في مقدمة الفصل الثالث من
الديوان بعنوان "لعبة الحياة"، أنهى هذه الحلقات بنشر المتن
كله مجتمعا بالرغم من أننا نشرناه من قبل.
لعله بذلك يغفر لنا ما لحق به بسبب الشرح.

القصيدة كلها:

لعبة الحياة

-1-

الحياه هيّا الحياة

أغلى حاجه فيها هيّا: إني عايش

وِسْط ناسنا الطيبين

حتى ناسنا النُّس نُص

هّما برضه أحلى ناس: طيبين

ما انا منهم،

يبقى لازم زيّهم،

حلو خالص

بس انا برضه بلاقيني ساعات كدا نُص نُص،

قلت أتعلم، وابتص

-2-

الحياة هيّا الحياة

باترجف من خطوتي الجايّة، ولكن:

باترعب أكثر لو اني فضلت ساكن

كل ما أشك ف خطاي،

ألتفت ما لقاش وراي

إلا إني،

وسط كل الناس باعّني

يعنى بابّني،

أنا وابتني.

واللى مش ممكن حاجخلص بيه وبني.

يبقى غيرنا يكمله.

-3-

الحياة هيّا الحياة
 الحياة دى مش كلام مرصوص على صفحات جرايد،
 أو حكاوى فى القهاوى والدواوير والمقاعد،
 أو شلّل مرصوصة تعرف فى الصياغة واللّكاعة،
 أو برامج فى الإذاعة.
 الحياة دى مش ثقافة عليا جدا" فوق هامات البشر".
 أو جوايز يمنحها للى فاز لما انتشر.

-4-

الحياة هيّا الحياة
 الحياة مش هيصه سايبه منعكشه
 الحياة حركة جميلة مُدهشه.
 بس بتخوف ساعات
 لما بنعزى الحاجات

-5-

الحياة هيّا الحياة
 الحياة مش حلم ليلة صيف، ولا إحساس يكرّكع
 مثل قلبه مايله تدلق مية الحياة فى صحرا مولعة ..
 لا الزرع يطلع فيها ولانارها فى يوم راح تنطفى.

-6-

الحياة هيّا الحياة
 كل ما بالقانى ماشى: ما بناتكُم، أنيسط.
 إيدى ماسكه فى إيديكُم،
 بابقى خايف إن واحد ينفرط
 يا حلاوه لو تكون الدنيا ديّه
 زى ما ربي خلّقها: هيّا هيّه
 تبقى رايح نحوها، تلقاها جايه

-7-

الحياة هيّا الحياة

الحياة الحلوة تحلى بـكُلْنَا، إنْتَ وأنا،
كل واحد فينا هوّا بعضنا،
بس مش داخلين في بعض وهربانين،
زي كتلة قش ضايعة فـ مجر طين.
ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسه،
بس نفسه هياً برضه كلنا،
مالى وعيه برَبْنَا

-8-

الحياة هيا الحياة
الحياة الحلوة حلوه
والحياة المرّه برضه، لو تاخذ بالك شوية
راح تشوف مرارتها حلوة
هيه صعبة لو لوحك
بس تسهل لو معانا الناس يا ناس
.....

مش مصدق؟!!

طب حاتخسر إيه لو انت سمعتنا
مش يجوز نلقاك معانا كلنا
نبقى أكثر منّا!!!